

النكت الشرق

بيت

مصطفى رضا وعبد الوهاب

◀ شاعت في أعقاب الحرب العالمية الاولى حفلات السمور التي كانت تنظم على غرار حفلات ((النادي الاهلى)) ، وذلك لان هذا النادي نجح في حفلاته نجاحا لفت الانظار الى هذا اللون من الترفيه والترويح ، بوسائل ميسورة ولقد تبارت المنتديات الفنية في اقامة تلك الحفلات ، وفيها شهدنا بواكير النشاط لشخصيات اصابنا من الشهرة بعد ذلك ما اصابنا ، ولعلنا نسميها في عالم الفنون ، وما زال بعضها يلعب حتى الان !!

أكثر ثباتاً من سلالم الدار تحت أقدامنا
ونحن نرتقيها متخوفين حذرين

وكان « قنط » الموسيقي هو المسافر
بالتصويب الاوفر فيها يعرفه المسرح ،
وطرقت سمعي أول مرة في تلك الليلة
كلمات « فاضل موسيقي » و « بشرى
عثمان بك » و « طشبول » و « نهاوند »
و « حجاز كار » وما إليها من مواضع
فنية في عالم اللحن الشرقي لذلك العهد

وأشار صاحبي الى فنان يتوسط
« التخت » على مكتبته « قانون » ، وقال
ل :

.. ألا تعرفي ؟
فقلت على الفور :
.. لا ...
فقال :

— انه رئيس النادي و « تعليمية » المقامه
ولما سماء لي ، لم أجد اسمه غريباً على
سمعي ، لقد كان صاحبها وقتئذ في
مستهل شهرته ، يتسلق المجد في نشاطه ،
ولكن في غير يسر « فلتند ما وقفت في
طريقه العقبات ، ولشد ما جهده في
تذليلها ، حتى أولى على الغاية مما يريد

رأيت ليلتئذ يجري أنامله على أوتار
« القانون » كأنها هي النسيم ير على

هذه الشخصيات بدأت أول ما بدأت
على منصات تلك المندييات ، قتهاقتسا
نحن شباب العصر نفتق حولها ، ونلتبس
عندها أنسا وامتاعا ، إذ كانت حفلاتها
جمعة لأسباببشتي من التسلية والاطراب ،
في مظهر لا خلاعة فيه ولا إسفاف ، كنا
نشبه في هذه المهرات تمثيلاً جديداً ،
وتمثيلاً هزلياً ، وننذى عقولنا وأذواقنا
بما ينشده المشدون من بدائع القصائد
وطرائف الازجال ، وما يستمتع من النكات
والأفاكية ، كذلك كنا نشنف الاسماع
بروائع الألحان ، وبالأصوات الحسان

وليلة صحبت لمة من الرفاق الى إحدى
هذه الحفلات ، في دار متواضعة ، تقع
في « شارع محمسة علي » ، ذلك الحي
الشمسي الذي عشتت فيه ردياً من الدهر
جوقات الموسيقيين ، ولرق المفتسين ،
و « العوالم » النساء التي كانت تضطلع
باحياء الافراح والليالي الملاح

وأذكر أننا لما بلغنا تلك الدار المتواضعة
اجتزنا ممراً تكسوه العتمة ، وارقتينا
سلالم عالية ، كانت تميد تحت أقدامنا ،
بل تكاد تنهارى بنا . وانتهينا من السلم
إلى بهو غير فسيح اكتظت فيه المقاعد ،
فحشرنا حشراً في جمهرة الناس ، وسرعان
ما توالى المشاهدة على مسرح متخلخل ،
لم يكن تمت أقدام أبطاله وهم يستلون



مصطفى رضا كان
مخافلاً على القانون
والطربوش والشارب !



الوسائل والخطط للنهوض بها ما وسعهم
أن يفعلوا

وأصبح « نادى الموسيقى الشرقى » على
مر الزمن كعبة الفن ومثابة الفنانين ، يلهم
شمل العرب ، ويجمع شتاتهم على اختلاف
مناحيهم . بل لها مدرسة تنمو فيها نابتة
فنية جديدة ، بفضل ما تنفلى به من
توجيهات أساتذة هم الذين شقوا ذلك
الافق ، وارتادوا تلك الطريق

وكان كلما وفد وفد من العرب ، له
مشاركة فى العزف ، أو فى التلحين ، أو
فى الغناء ، وجد فى ذلك النادى من يكرم
وفادته ، يحتفى بفته ، ويدلى من الجمهور
حناله . وأذكر أنى استمتعت فى النادى مرة
بموسيقى سورى ضارب على « البرق » ،
ويوما بعض سودانى يسمعنا أنغام أهل
الجنوب من وادى النيل ، وحينما بجسوة
تركية تزف الينا الحاناً قومية مستحدثة

مصر

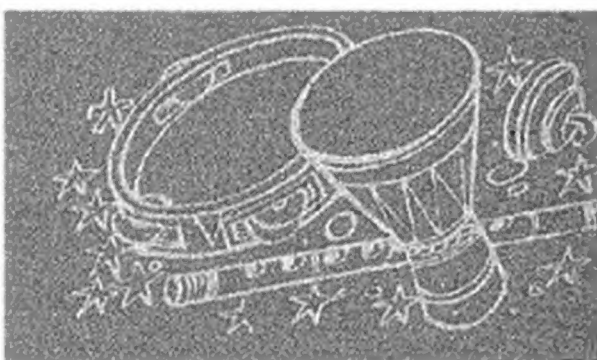
وكرت الأعيان تبعاً ، و « مصطفى
رضا » نائب فى عمله ، يسير به من حسن
الى أحسن ، وهو يبدل فى سبيله كل ما فى
طوقه من جهد وصحة ومال ، حتى انتهى
به الامر الى تحقيق هدفه الاسمى ، قرأنا
ذلك المبني الضخم يملن فى فخسار مولد
« معهد الموسيقى الشرقى » ، وما لبث أن
شمسته الحكومة برعايتها ، وهو اليوم فى
مكان الصفاة من معاهد الفن بعد أن أصبح
« المعهد العالى للموسيقى العربية »

و « مصطفى رضا » من الشخصيات
الطريفة حقاً ، لم يكن بائن الطول ، ولا
ظاهر القصر ، ولم يكن عظيم الجرم ، ولا
بالغ النعافة . . كان وسطاً فى قامته
وحجمه ووزنه ، له شارب عريق كان به
حقياً ، يشذبه ويهذبه ، ويقتل طرفيه فى
الحفلات الرسمية التى تتطلب الوجاهة
والأبهة . وما خطر بباله قط أن يلبس بهذا
الشارب على مذبح الفن ، كما يصنع
الفنانون من أضرابه . وإنما أبقى عليه ،
وخصه بالكرامة . وان هذا لهو فى حقيقة
أمره مظهر من مظاهر « المحافظة » التى كان
يتميز بها ذلك الفنان الاصيل

جدول وأدع ، فلا يلبث أن يتفرق موجة
فى هيئة ذريق ، ولقد كانت الانغام تتوسل
من « قانونه » كأنها فى مشاعر رفاة فى
لحن حنون ، وانك لتشبهه وهو يتملك
الاوتار فى اقتدار ، فإذا أنت لا تتمالك
أن تحكم باستاذية مبكرة . ونبور ملحوظ
لصاحب تلك الانامل الساحرة

مصطفى رضا

كانت هذه أول مرة أرى فيها « مصطفى
رضا » ، وأول مرة أدخل ناديه الذى
أنشأه ومهد ورأسه طول حياته ، وأعنى
به « نادى الموسيقى الشرقى » . ولقد



أتاح لى طول العمر فيما أتاح أن أشهد
هذا النادى من بعد فى مبنى خاص به ،
يزهى بمظلمته فى أعز بقعة من العاصمة

بدأ « مصطفى رضا » جهاده فى سبيل
الموسيقى العربية داخل هذه الدار المتواضعة
ذات السلام الواهنة . فكان يلتقى فيها
بالصنوة من أهل الفن ، أمثال أستاذ
« محمد المقلد » . ومن كانوا يشهدون
تلك الندوة « يعسوب عبد الوهاب »
و « حسن انور » و « من أشياع الموسيقى
الشرقية المحسنين لها . الملبين عليها
كل الإقبال . وكذلك « صفر على » ،
وهو من عهد التلحين ، ومن أعمال
الموادين . أعنى ضاربى العود . . . هنالك
كانوا يتذكرون شئون الموسيقى .
ويتلمعون الى نصرتها . ويلتسمون

ولعل « مصطفى رضا » لم يستطع أن يبلغ في تجويد الموسيقى الشرقية ما كان يطمح إليه الفنانون من دعة للموسيقى الغربية ، ولكن الفضل الأكبر لذلك الفنان هو أنه نهض بالموسيقى الشرقية وأحيائها في نطاقها على نحو يذكر له بالحماس والاعجاب . ولقد حافظ على نزائهما بتسجيل أصولها وتحديد فنودها والنصوص « النوتة » . وبذلك صان أسسها من الضياع ، وجدد دعائمها التي كانت تنقوض ، وجعل منها بنية حية في المجال الفني المصري



محمد العقاد ، كان
استاذاً لمصطفى رضا

وأما « مصطفى رضا » عازفاً . فقد بلغ المروءة في العزف على « القانون » ، وبز في ذلك الاوائل والاواخر ، وشبهه له بالتفوق الاشياح والمثاليون

وأصدقاء « مصطفى رضا » يعرفون له حلاوة لسانه . وأنى حديثه وعجب فكاهته . والحق أن شخصيته كانت محببة جذابة . وما يذكر له أنه كان متديناً شديداً الورع ، وما أظنه فاته فرض صلاة . ولما رزق مولوداً أسماه « تمام الدين » . فسألناه :

— لماذا أتر هذا الاسم على غرابته ؟

اجاب والبشر يتألق غنى حياته :

— عندما تزوجت ظفرت بنصف الدين ، صداقاً لحديث الرسول : « الزواج نصف الدين » ، وهأنذا يجوبني الله بولد ، هو النصف الآخر . فيه تمام الدين

القانون . . والطربوش

ومن ذكرياتي معه انما تلامنا في إحدى الصفحات ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، للاستشفاء في مدينة « فيشي » من أعمال « فرنسا » فلاحظت أنه حرص على أن يجعل بين مناعه شيئين ، تشبث بهما غاية التشبث ، وعنى بهما أتم عناية . وهما : الآلة الموسيقية « القانون » . وغطاء الرأس « الطربوش » ، وكانت حجة في اصطحاب الآلة الموسيقية أنه لا غناء له عن العزف

وأحسب أن روح « المحافظة » وما يحب بها من شمائل الاعتدال والرزانة ومجانبة الجسور كانت تجرى في كيان الرجل مجرى الدم في عروقه . بل أن بناء الجسماني ، من حيث التوسط في الأبعاد والأحجام ، فهو عنصر من « المحافظة » جادت عليه الطبيعة به ليكون رمزاً ما ركب فيه من طبع ، وما بنى عليه من تكوين . فما كان أقرب الشبه بين خلقته وخلقه . وما كان أيسر التماثل بين ظاهره وباطنه ، ولكأنما الطبيعة قد فرضت عليه نزعة التحفظ والاتزان فرضاً لا يملك منه الفكاك

ربيع المقام . . !

عرف « مصطفى رضا » بأنه شديد الحفاظ على الموسيقى الشرقية . بل أطلق عليه لقب « شيخ المحافظين » . ولمست أننى مناقشاته المتواصلة ، وجدله الدائم ، في الدفاع عن « ربيع المقام » في هذه الموسيقى . وأعترف بأنه لا آتئين على وجه الدقة ما شغل هذا « الربيع المقام » ، ولكني علمت أن تمسك الموسيقيين الشرقيين به اضطربهم إلى التحرر من اتخاذ الآلات المستحدثة في أداء النص الموسيقي الشرقي « النوتة » ، وأصرروا على الاقتصاد على اتخاذ « القانون » و « العود » وما إليهما من آلات تقليدية متوارثة ، وذلك لأن تلك الآلات المستحدثة لا تتسح لأداء « ربيع المقام » العظيم



صورة تاندره لعبد الوهاب وعمره ١٢ سنة ، يقف خلف ابنه ، الذي يحمل أخاه الشيخ حسن عبد الوهاب

« محمد عبد الوهاب » ، فراقنتني منه دماثة خلق ، ولطف شمائل ، وابتسامة رقيقة تلقى بها المعجبين بفنه . وقد سمعت منه في تلك الليلة الاستهلال الموسيقي للملحنة المشهورة « الأوبرا » المسماة « حلاق اشبيلية » فراعتنا براعته في الاقتباس ، وحذقه في المزج بين الحان غربية وروح شرقية

ولم تكن هذه أول مرة أشهد فيها « محمد عبد الوهاب » فاني رأيته يادى بدء . قبل ذلك بسنتين - في « دار الأوبرا » عندما كانت فرقة « عبد الرحمن رشدي » تؤدي مسرحياتها . فكان « عبد الوهاب » يطرب جمهور النظارة في الترويجة بين الفصول ، ومنه اذ ذاك لا تتجاوز الثالثة عشرة ، وكان يجيد أداء المقطعات التي اشتهر بها « الشيخ سلامة حجازي »

ولم تكن تلك الحقبة كان طاهر الضمور ، فضيل الشخص ، يبدو في حلة المسهرة « السموكن » طريفا وسيميا يجتنب الانظار وكان يطيب لشقيقي « محمد تيموز » أن يحمله على ساعده ، ويعطوف به في دوائر

على « القانون » حيثما حل ، فهو طعامه وشرابه ، ما منه يد ولزام عليه ألا تخلو ليلة من مرانه عليه ، وتمرس به ، ومناجاة له . وأما « الطربوش » فقد رأيته لا يتخله على رأسه الا وقت الصلاة ، وكأننا هو يأبى أن يتجه الى ربه مصليا له الا في زيه الرسمي الشرقي ، استكمالا لاسباب التوقير والاحلال لذات الله سبحانه

ومن طرائفه التي تروى عنه أنه لما عزم على أن يصهر الى أسرة « الدراملي » - وهي من الاسر المعروفة بالمحافظة على التقاليد - قصد الى المرحوم « سعيد ذو الفقار » الذي كان قد سبقه بالاصهار الى هذه الاسرة . وكشف له عن رغبته ، وطلب اليه أن يكون وسيطا بينه وبينها في تلك المهمة وانني يقول له :

- قبل أن تتحدث في شيء يتعلق بي ، احب أن اصارح بانني عازف « قانون » . ولا أستطيع التخلي عن هذه المهواة ، فان قبلتني الاسرة بهذا الوصف . فيمكن أن نتحدث في غير ذلك من الامور فاجتمعت الى المرحوم « سعيد ذو الفقار » ، واجابه وهو يربت كتفه ، متخذاً أسلوب « التورية » في التنكيت :

- لا بأس عليك من « القانون » . . . بيد أن كل شيء يجب أن يُمسِر وفق « القانون » !

وقمت الزوجية على ما يرام ، ولعل « مصطفى رضا » لم يكن يدري ساعه مصارحته للمرحوم « سعيد ذو الفقار » برغبته في تلك المصاهرة ، ان « سعيد ذو الفقار » كان هو نفسه « ابن حط » كما يقولون ، يهوى « العود » وله في الفناء صوت حسن ، وربما كان ذلك من اسرار ترحيبه بتعديله عازف « القانون » الفنان ، وكم من ليال احيائها ذاتك الرجلان الفنانان في دارهما ، ليال جمعت بين اعلام الموسيقى وعشاق الفناء في ندوات كلها طرب وبهجة وايناس

عبد الوهاب

ولم احدى هذه الليالي - في دار « مصطفى رضا » بد « المنيل » - التقيت بالفنان



عبد الوهاب غنّي.. ولحن.. ومثل. ولكنه تفوق في التلحين



وحسينا أن نشير إلى أغنياته : « بلبس حيران » و « في الليل » و « الجنود » وهويلا شك آية العصر الحديث في الموسيقى الشرقية . له الفضل السامع في اشراق موسيقانا التقليدية أنفاما وإيقاعات مقتبسة من الموسيقى الغربية أو مستوحاة منها ، وكان من أثر هذا الاشراق أن اكتسبت الموسيقى الشرقية جدة وطرافة نفت عنها طابع التكرار الملول ، ونهضت بها نهضة بعيدة في سلم التطور الفني

أم كلثوم

و « عبد الوهاب » أسبق من « أم كلثوم » ظهورا في مضمار الغناء ، ولكنها ما لبثا أن أصبحا فرسى رهان . فما استطاع عبد الوهاب « بجدة تلاحينه » وعمق وعييه للموسيقى ، وإصالة تفننه في التعبير والاداء ، أن يخل « أم كلثوم » أو أن يردعا إلى وراء ، وكذلك ما استطاعت « أم كلثوم » بحلاوة صوته وعبقورية حنجرتها وعظمة اجتهادها أن تنفرد بمجلس الصدارة في عالم الغناء ، ليكون لها الصوت

المسرح ، الكواليس ، متطرفا معه وتواردت الأيام ، ونجم الفنان الناشئ يستطعم ويتألق . ولم يقتصر على الغناء ، وإنما عالج التلحين ، فنجح فيه إلى أقصى درجات النجاح

وتردد « عبد الوهاب » على « نادي الموسيقى الشرقي » ، وكان مصطفي رضا يحوطه ويعتز به « وصرح لي يوما بأن ذلك الفتى الفنان أتى في الموسيقى الشرقية بما لم يسبقه إليه سابق . وكان تصريحه هذا بمثابة مبايعة له « عبد الوهاب » بالامارة على « التلحين »

وبعد ذلك اعتلى « عبد الوهاب » المسرح مصاحبا « منيرة المهدية » وهي من مجدها يومئذ في الارج ، وذلك في المسرحية الغنائية « كليوباترا » ولكن التجانس كان بين البطلين الفنانين مفقودا ، فلم تفل المسرحية ما رجاء المحبون لها من توفيق

وأحسب أن « عبد الوهاب » ملعننا اعظم منه مقنيا ، وإن كان في التلحين والغناء كليهما عظيما . فصورته وإن كان حنوناً رقيقاً لم يكن يصلح للغناء المسرحي ، وأما موهبته في التلحين فلا تجساري .

وتتبع مع الايام هذا الصوت الرائع ،
فتحقق ظني به ، وصديق حدي في
وما زال الصوت يتألق في اجواء الشرق
كله ، حتى لم يبق بين مختلف الاذواق
خلاف على أن هذا الصوت حسنة من
جسبات الفنون الجميلة فيه ، وأنه من
الاصوات التي لا يسمح الزمن بشلها الا بعد
طول انتظار

ولا ينكر أحد أن « أم كلثوم » قد تدرج
صوتها بالنمو والرائحة - في مراتب الحلوة
والنضوج - حتى بلغ الغاية التي تنقصر
دونها الاصوات ، ولكن الحق الذي لا ينكر
أيضا أن صوتها لم يكن في نشأته بالهزيل
ولا بالضعيف ، وتلك ميزة الفنان الاصيل،
تري في مظهره مخايل الروعة ، وتلمع في
بدايته ما يكشف لك أسرار فنه الموعود

ولقد كانت أماره الغناء عموماً متميزة،
لكل عهد طابع يحمل اسم صاحبه ، ولا شك
أن « أم كلثوم » هي أميرة الغناء النسوي
لهذا العهد . فكما طبع «عبد الحميد»
عهده باسمه ، وكما تميز « الشيخ سلامة
حجازي » بغنائه - فكذلك طبع « أم كلثوم »
عصرها بغناء لا سبيل الى منافستها فيه

وهب الله « أم كلثوم » عبقرية تمثل
في اكتمال حنجرتها ، وأعني بالاكتمال ذلك
الاقتدار على التنقل بين الطبقات الصوتية
في التنغيم دون كبر أو اعياء ، فهي حين
ترسل صوتها ، تؤدي مختلف الانغام أتم
أداء ، وتستوفي درجاتها دون أن يشوب
الصوت شائبة . فلا تنكر منه شيئا ، ولا
تستطيع أن تؤثر بأعجابك طبقة منه دون
طبقة ، حتى ليخيل اليك أن النغمة طوع
قوة غلبة تصرفها حيث تشاء ، فتسحر
الاسماع ، وتلمب بالالباب

كسب الفن السينمائي كسبا كبيرا تلك
الروايات التي مثلت فيها « أم كلثوم »
أدوارا غنائية ممتازة ، وأذكر منها «نشيد
الامل » و « دنائير » و « سلامة القس »
وصادقت هي في ذلك مجالا لتلوين الغناء
وامداده بصور طريفة . وليت المسرح كان
له من « أم كلثوم » مثل هذا الحظ ، إذن
لشهدنا للمسرح الغنائي عهدا جديدا فصل
به ما انقطع من عهد « منيرة المهدية »
وما سبقها من عهد « الشيخ سلامة حجازي »
وان « أم كلثوم » فضلا في ترقية مستوى

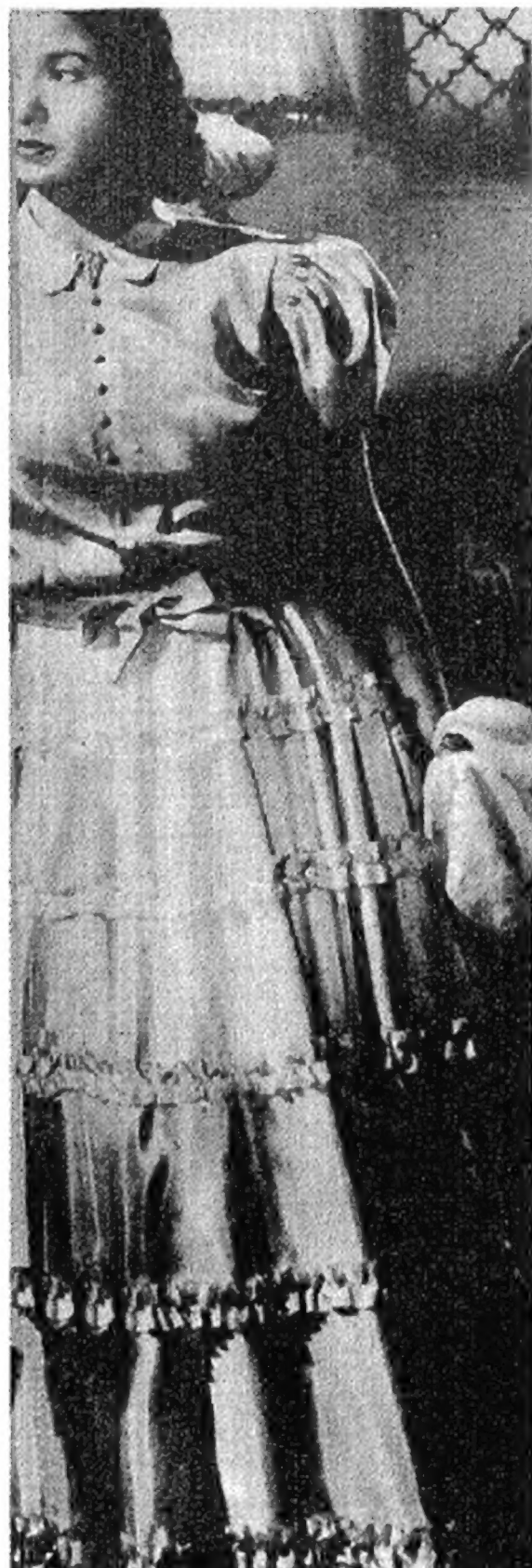
المغنى دون ذلك الفنان الزميل ، وأنه لمن
المعجب المعجب أن تصفى لكليهما اسماع
الجمهور في شغف وكلف ، وأن تنيلهما
على السواء أقصى ما يصبر اليه الفنان
من حفاوة وتكريم وتمجيد ، وكان الجمهور
الطروب قد أحس بأن في كل منهما ما ليس
في الآخر ، وأنه لا غنية عنهما معا يزدان
بهما عصر واحد

كان لي حظ الاستماع الى « أم كلثوم »
أول مرة في ملهى « الكورسال » حوتلي
سنة ١٩٢٠ ان لم تكن الذاكرة قد مضت
بي بعيدا ، ولكني لا أنسى أنني لم أكد
أستمع الى ذلك الصوت الجديد ، وهو غنى
في حد ذاته ، حتى توقعت أن يكون له شأن
أى شأن

وعلى الرغم من أن المغنية الناشئة لم
تكن لها أوبة من الموسيقى الا أدوات
بدائية بسيطة ، على نظام العهد القديم ،
فأنها استطاعت أن تسترعى الانتباه الى
صوتها الذي كان ينساب الى القلوب
خيهزها الطرب والاعجاب



منيرة المهدية ، هي وعبد الوهاب
في مسرحية « كليوباترا » . . !



ليت المسرح كان له من أم
كلثوم مثل حظ السينما



الفناء عند الراى العام ، فهي التي أرهفت
سمعه ، وهذبت خوقه . اذ جعلته يالف
حلاوة صوتها الرخيم ، فاصبح يقيس بذلك
الصوت المحبوب جمال الاصوات
غنت « أم كلثوم » بلغة الشعب في
مقطوعات عاطفية قريبة من افهام الشعب ،
مثل « على بلد المحبوب » و « يا ليلة
الميه » و « هل ليالى القمر » ، وما يروح
يردها . وكذلك غنت في قصائد من عيون
الشعر العربي قديمه وحديثه ، لا يفهمها
الا الخاصة مثل « الامداح النبوية » ،
و « النيل » ، و « رباعيات الخيام » ،
فلم يقل اقتتات الشعب بها . واقباله على
سماعها عن تلك المقطوعات السهلة المألوفة .
ذلك لان صوت « أم كلثوم » المحجب الى
الناس جميعا ترغم هذا الشعر الجزل ،
وأدى معانيه الى القلوب
ويوما اريد « لام كلثوم » أن تقام لها
حفلة تكريم ، فكثبت أقول :
« ما اغناها عن صوت يهتف باسمها ،
فانها صاحبة الصوت الذي لا تخطئه اذن
في أرجاء الشرق من القاص الى القاص ..
انه صوت من السماء : »